أزمات النظم الوراثية وإعادة التوريث: قطر والبحرين أنموذجاً

أ. د. سعيد مجيد دحدوح*
أكاديمي وباحث من العراق

* تدريسي ـ كلية العلوم السياسية ـ الجامعة المستنصرية

مقدمة

أثار أقدام أمير قطر (محمد بن خليفه) على تنازله عن السلطة الى نجله (تميم بن محمد) ولي العهد، الكثير من المناقشات والاستغراب، خاصة وأنه أول حاكم من حكام الوراثة العربية، يقدم على هذه الخطوة، في ظل نظم حكم متكلسة، لا يخرج الحاكم او الامير او السلطان،إلا بالموت أو الازاحة بالقوة،وجاء التنحي في وضع إقليمي ملتهب، كان الأمير ورئيس وزراءه من الفاعلين الاساسيين فيه، سواء من دول (الربيع) العربي وفي غزة، ومن ثم وضع كل اوراقهم في (لعبه) تغيير النظام في سوريا، وهذه الازاحة لم تكن بعيدة عن ارادة الولايات المتحدة.

النظم الاوتوقراطية في مجملها تستبعد حق الشعب في اختيار الحاكم، فالحاكم يفرض نفسه بأيّ وسيلة من الوسائل، منها الوراثة أو استعمال القوة، وبعد هذه المدة التي استقرت بها انظمة الحكم في الخليج، نجد أن قضية الخلافات السياسية يفترض أن تكون محسومة في النظم الملكية، بحكم وضوح آليات انتقال السلطة، بل وتقنينها في الدساتير الوطنية، إذ تتسم انظمة الحكم الخليجية، بأنها انظمة ملكية تعتمد على انتقال السلطة في البلاد بين أفراد الاسرة الحاكمة، ويسير هذا التناقل والتوارث للسلطة في خط الابوة، ولكن هناك حالات لا تحترم فيها هذه القواعد، إذ يتم استعمال العنف في خلافة عروش هذه النظم، فيما يعرف بـ(انقلاب

تتسم انظمة الحكم الخليجية، بأنها انظمة ملكية تعتمد على انتقال السلطة في البلاد بين أفراد الاسرة الحاكمة

الامراء) أو (انقلاب القصر) أو (ثورة القصر) أو (الانقلاب الابيض) من الداخل أو صراعات دموية، ويلاحظ أن هذه الظاهرة لها سوابقها في الممارسات السياسية الملكية.

إن عدم الاستقرار واستمرار الاحتجاجات الشعبية في البحرين منذ شباط 2011 للمطالبة بالحرية والديموقراطية، ونظراً للتماثل بين النظامين (**القطري والبحريني**)، ولاستمرار الانتفاضة الزخم والتصميم نفسه لنيل المطالب المشروعة، على الرغم من كل اساليب القسوة التي يستعملها النظام، برزت على السطح عملية استحضار الخطوة التي أقدم عليها أمير قطر وإمكانية استنساخها في البحرين (**لرفع فتيل الازمة**). يعد أمراً قابلاً للمناقشة برغم الاختلاف في المعطيات بين الحالتين.

في عام1968 اعلنت بريطانيا عن نيتها الانسحاب من جميع محمياتها ومستعمراتها شرق المتوسط في نهاية عام1971، لذلك تبلورت فكرة انشاء إتحاد ما بين المحميات، في اجتماع عقد بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم ابو ظبي والشيخ راشد بن سعيد ال مكتوم حاكم دبي في شباط عام 1968، واتفق الحاكمان على دعوة حكام الامارات المتصالحة الأخرى، فضلاً عن حاكمي قطر والبحرين.

بعد سلسلة من الاجتماعات عقدها حكام الامارات التسع في مدينه دبي في 25 شباط 1968، قرروا اقامة اتحاد بين اماراتهم يسمى (اتحاد الامارات العربية)، ولكن الاتحاد واجه صعوبات كثيرة، فلم يبقِ امام حكام الامارات مناص من البدء في التفكير في قيام الاتحاد السباعي، وبعد الانسحاب البريطاني تم الاعلان عن استقلال قطر والبحرين في ايلول عام 1971[1].

وقد اقترن تاريخ قطر الحديث بظهور الاسرة الحاكمة اسرة (آل ثاني)، ومفهوم الاسرة الحاكمة يستمد مقوماته واصوله من (نظام المشيخة) القائم على الاتساق القبلية، الذي يشير إلى تولي اسرة ما الحكم بناء على اعتبارات ومعطيات عدة، من سماتها التوافق بين القبائل والعشائر على قبولها واختيارها ووجوب الطاعة والولاء لها، والسلطة تنتقل بين افراد الاسرة الحاكمة بالوراثة أو عن طريق الصراعات الداخلية بين افراد الاسرة الحاكمة.

(1) احمد خليل عطوي، دولة الامارات العربية المتحدة، نشأتها وتطورها المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت1981، ص80 ـ 92.

إن (آل ثاني) بزعامة الشيخ محمد بن ثاني، ارتحلوا إلى قطر في اوائل القرن الثامن عشر وهم فرع من بني تميم، وفي منتصف القرن التاسع عشر حكمت قطر اسرة (آل ثاني)، التي اخذت اسمها من جدها ثاني بن محمد والد الشيخ محمد بن ثاني، الذي كان أول أمير مارس سلطته الفعلية في شبة الجزيرة القطرية، وقبل الاستقلال قام الشيخ (خليفة بن حمد) سنة 1970، بانقلاب اقصى فيه (احمد بن علي) عن الحكم، وظل يحكم البلاد إلى أن قام حمد بن خليفة بانقلاب (ابيض) على والده، عندما كان مسافراً الى سويسرا عام 1995 ليستولي الابن على كرسي الحكم، وهو ما جعل الملك الراحل الحسن الثاني ملك المغرب، يصفه فيما نسب اليه حينها (بالأمير العاق) لوالده.

حكم البحرين (آل خليفة) بتأييد من بريطانيا، بعد أن اسندوا الحكم الى الشيخ (عيسى بن علي آل خليفة)

فيما حكم البحرين (آل خليفة) بتأييد من بريطانيا، بعد أن اسندوا الحكم الى الشيخ (عيسى بن علي آل خليفة)، الذي كان يعيش في (الزبارة) في قطر، فأنتقل الشيخ الى البحرين عام 1869 برعاية بريطانية توجها بتوقيع معاهدة مع بريطانيا عام 1880، من أجل حمايته ومساعدته خوفاً من بطش الايرانيين والعمانيين، ثم معاهدة اخرى عام 1892 فحكام البحرين من آل خليفة هم ليسوا من أبناء البحرين، وأنما دخلاء عليها وعلى تاريخها، إذ سيطروا على البلاد بالقهر ومعاونة (الانجليز).

وبعد اعتزال الشيخ عيسى بن علي عن حكم البحرين، عين ولي عهده الشيخ حمد بن عيسى الذي بقي في الحكم من (1923 ـ 1942)، وفي عهده الغت الحكومة البريطانية جميع المحاكم الوطنية في البحرين، وأقامت ديوان خاص للفصل في القضايا، يتألف من الشيخ المذكور والمقيم البريطاني، وبعد وفاة الشيخ حمد بن عيسى تولى الحكم من بعده ابنه الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى ال خليفة، الذي استمر بحكم المشيخة إلى أن توفى عام 1961، وخلفه في الحكم أبنه عيسى بن سلمان ال خليفة الذي استمر في حكم البلاد الى عام 1999، وبعد وفاته نودي في 9 اذار بالشيخ حمد بن عيسى ال خليفة حاكماً على البحرين، وفي (14 شباط 2002)، تم تغير مسمى دولة البحرين الى مملكة البحرين واصبح الامير ملكاً للبحرين.

حكام البحرين من آل خليفة هم ليسوا من أبناء البحرين، وأنما دخلاء عليها

تنحي أمير قطر عن الحكم

جاء تنحي الامير حمد بن خليفة ال ثاني، عن الحكم طواعية لنجله الشيخ تميم بن حمد لتثير اسئلة كثيرة، لا سّيما أنه أول حاكم يملك، ويحكم حكماً وراثياً يقوم بهذه الخطوة. وعندما نأخذ بالرواية الرسمية القطرية عن تنحي الامير حمد بن خليفة، أو ما عرضته وسائل الاعلام الموالية للنظام أو الروايات الأخرى، والتي يمكن حصرها بالآتي:

1 ـ إن سبب التنحي جاء لإفساح المجال لطاقات الشباب، وأن المرحلة التي تمر بها قطر تحتاج لدماء جديدة .

2 ـ منذ عام 2010، اصبحت (85%) من ملفات الدولة باتت بيد الشيخ تميم بن حمد ولي العهد.

اصرار زوجة الشيخ حمد بن خليفة (موزة بنت ناصر المسند)، على تسليم نجلها تميم بن حمد ولي العهد، الموقع الأول في البلد

3 ـ اصرار زوجة الشيخ حمد بن خليفة (موزة بنت ناصر المسند)، على تسليم نجلها تميم بن حمد ولي العهد، الموقع الأول في البلد، في ظل وجود والده الامير المخلوع لحمايته من الاجنحة الأخرى في العائلة.

أن القرار بالتنحي كان قراراً أميركياً، وهذا تبلغ به أمير قطر عن طريق موفد استثنائي، وهو مسؤول بارز في المخابرات الأميركية، حسب ما جاء بصحيفة السفير اللبنانية، وأن القرار تم دراسته في البيت الابيض، وأن الموفد الرئاسي الأميركي نقل الى الشيخ حمد بن خليفة رسالة خاصة نصها (أمامك خيار محدد، إما أن نحجز على اموالكم حيثما كان في مختلف انحاء العالم، أو أن تترك موقعك وتسلمه لواحد من ذريتك نسميه لتعتمده حاكماً بعدك)، وعندما حاول الأمير مناقشة الأمر قال له الموفد الخاص، (لم أتِ اليك مفوضاً بالتفاوض معك، بل جئت لأبلغك قرارنا، وأن يرحل رئيس الحكومة ووزير الخارجية حمد بن جاسم معك)[2].

(2) www.bcsl.org.uk/ar/pubications/2-13-

أمامك خيار محدد، إما أن نحجز على اموالكم حيثما كان في مختلف انحاء العالم، أو أن تترك موقعك وتسلمه لواحد من ذريتك نسميه لتعتمده حاكماً بعدك

إن هذا الاهتمام الدولي والاقليمي بتنحي الامير حمد بن خليفة عن الحكم، يعود الى السياسة التي اتبعتها قطر في السنوات الثلاث الأخيرة، وزج نفسها في ملفات كبيرة ومهمة، تجاوزت القدرات ومنطق الاشياء، وبدت كأنها

تستطيع تحريك أو توجيه المنطقة بالشكل الذي تريد، بما تمتلكه من مال ووسيلة اعلام مؤثرة ممثلة بـ(الجزيرة)، فضلاً على فتاوي الشيخ يوسف القرضاوي التي توزع بكل الاتجاهات والداعمة أو المبررة لسلوك أو خطوات الامير حمد بن خليفة أو رئيس حكومة.

لم أتِ اليك مفوضاً بالتفاوض معك، بل جئت لأبلغك قرارنا، وأن يرحل رئيس الحكومة ووزير الخارجية حمد بن جاسم معك

لقد دخلت دولة قطر في قلب احداث المنطقة الملتهبة، من دون دراسة أو حساب دقيق ورؤية سديدة للدخول في هذه (اللعبة) العالمية، التي يحركها المال والسلاح والاساليب الاجرامية القذرة، وتشترك فيها مافيات دولية. ودول تريد كسر الهيمنة على الساحة الدولية، لذا وجد الأمير أن الانكفاء هو ورئيس وزراءه حمد بن جاسم هو أفضل طريق للخروج من التوريط الأميركي ـ الاسرائيلي.

البحرين . . . واستنساخ الخطوة القطرية

ربما كان تنحي امير قطر (حمد بن خليفة) عن الحكم الى نجله ولي العهد، قد حفظ كيان الدولة ووجودها، بعد أن اقحم بلاده هو ورئيس وزراءه في نزاعات وملفات، قد تبدو أكبر من قدرتهما على ادارتها أو التعامل معها، وبدل من أن تكون قطر جزء من الحل، كما كانت تفعل في أكثر من مناسبة، اضحت في قلب الاحداث وأزماتها، فضلاً على تبني المشروع (الاخواني) في المنطقة.

وفي البحرين على الرغم من أن المعطيات ثم الحاضر بين البلدين (قطر والبحرين) قد تختلف، ولكن مملكة البحرين تتعرض الى أزمة داخلية، قد تجر البلاد الى الهاوية، تتمثل في استمرار الاحتجاجات الشعبية التي تطالب بالإصلاح السياسي منذ أكثر من سنتين ونصف، في ظل معادلة خطيرة، وهي انحياز الحكومة الى الخيار الامني لقمع الاحتجاجات بوحشية مفرطة، بالمقابل استمرار هذه الاحتجاجات والتصميم على نيل الحقوق وتحقيق المطالب المشروعة مهما كانت النتائج، في ظل هذا الوضع في المملكة، تم استحضار الخطوة القطرية وامكانية استنساخها، أي أن يتنحى ملك البحرين (حمد بن عيسى) عن الحكم الى ولي العهد (سلمان بن حمد).

السياسة التي اتبعتها قطر في السنوات الثلاث الأخيرة، وزج نفسها في ملفات كبيرة ومهمة، تجاوزت القدرات ومنطق الاشياء

الانتفاضة الشعبية

امتداداً لما سمي (بالثورات العربية) التي انطلقت في تونس ومصر وامتدت الى مناطق أخرى في الوطن العربي، اندلعت في مملكة البحرين حركة احتجاجات شعبيه ضخمة، شاركت فيها قطاعات مختلفة من المجتمع مثل (المحاميين، والاكاديميين، والصحفيين، والاعلاميين والمعلمين، والاطباء وغيرهم)، كما انظمت اليهم الجمعيات المعارضة السبع التي تتمثل في الوفاق الوطني الاسلامي (التيار الشيعي الرئيس)، والعمل الوطني الديمقراطي (يسار قومي) والمنبر الديمقراطي القومي (يسار) والعمل الاسلامي (شيعة)، التجمع القومي الديمقراطي (بعث)، التجمع الوطني الديمقراطي (يسار قومي)، الاخاء الوطني (الليبراليون الشيعة)[3].

(3) محمد عز العرب، لماذا تعد الاحتجاجات البحرينية الاستثناء في الربيع العربي، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة 2012، Http:// acpssahrandiglath-org

لقد خلقت الاحتجاجات الشعبية في البحرين أزمات شديدة في النظام، انعكست على مستوى علاقة الدولة بالمجتمع، وأزمة نظام ومعارضة كما حاول النظام أن يطبعها بطابع طائفي، لاسيما بعد تصريحات الشيخ (يوسف القرضاوي)، الذي انتقد المعارضة في البحرين واتهمها بأنها ثورة طائفية شيعية موجهة ضد السنة.

تصريحات الشيخ (يوسف القرضاوي)، الذي انتقد المعارضة في البحرين واتهمها بأنها ثورة طائفية شيعية موجهة ضد السنة

قد يكون من المناسب في ظل الازمة الشديدة التعقيد التي يواجها النظام والمنطقة، من استنساخ الخطوة القطرية في مملكة البحرين من أجل الاستقرار السياسي، وخوفاً من انحدار البلاد نحو الهاوية، لكن قضية تنحي ملك البحرين (حمد بن عيسى) عن الحكم الى ولي العهد (سلمان بن حمد)، لها محددات عديدة نذكر منها ثلاث:

1 ـ ثنائية الحكم أي أن الأبن يساعد والده في الحكم، وفي بعض الاحيان كان الاحفاد ايضاً يشاركون في السلطة، وهكذا تتفرع مراكز الحكم حتى يصبح عن الحاكم حكاماً على قرية أو عدة قرى.

2 ـ تغلغل العائلة المالكة في كل مفاصل الدولة ومؤسساتها السياسية والعسكرية والامنية فضلاً على الاقتصاد والتجارة والاستثمار.

ويبدو أن العائلة المالكة تدرك جيداً، إن مملكة البحرين ومؤسساتها، لا يمكن أن تستوعب (ال خليفة) ورغبتهم في الامساك بكل مفاصل الدولة، في

ظل أغلبية شيعية، تطالب بتغيير بنية النظام. لهذا نلحظ أن النظام البحريني وعن طريق المزيد من استخدام القوة والعنف، يظل تقاوم الى الحد الذي من الممكن أن تهذب من خلاله الكثير من المطالب التي تطرحها المعارضة .

الوضع في البحرين مرتبط بموقف المملكة العربية السعودية، التي لديها حق النقض (الفيتو) في أي توجه سلمي توافقي مع مطاليب المعارضة الشيعية

كما أن الوضع في البحرين مرتبط بموقف المملكة العربية السعودية، التي لديها حق النقض (الفيتو) في أي توجه سلمي توافقي مع مطاليب المعارضة الشيعية، فالسعودية وهي (اللاعب) الاقليمي الكبير لا تريد بحرين ديمقراطية، ذات اغلبية شيعية في الحكم، لأن هذا سيكون له انعكاسات على سكانها الشيعة في الاحساء والقطيف، الذين يطالبون بالحرية والمساواة، وانها الاضطهاد الواقع عليهم في الاحساء والقطيف. . . وقد فعلت ذلك من قبل مع العراق بعد الانتفاضة الشعبية في اذار عام 1991، فيذكر الكاتب (محمد حسنين هيكل) بأن الذعر استولى على قلب (الرياض)، التي راحت تلح وتحذر وتدق نواقيس الخطر، معتبرة ما تصفه الخطر الشيعي، هو العدو رقم واحد، فإذا ما نجح الشيعة في الجنوب واستولوا على بغداد، واذا اقاموا دولة في الجنوب، فأن المد الشيعي سوف يصل الى منطقة القطيف في السعودية[4].

(4) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج... اوهام القوة والنصر، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة 1992، ص575.

لقد تم استقدام قوات سعودية لقمع الاحتجاجات في البحرين، ومواجهة شعب يطالب بالحرية والمساواة والاصلاح، وصرح الرئيس السابق لجهاز المخابرات السعودية (تركي الفيصل) من أننا لا نترك البحرين لإيران، بهذه الكلمات تختزل ثورة شعب لازال يقاوم كل ادوات القمع لنيل حقوقهم المشروعة.

الملك عبد الله بن عبد العزيز فهو في حالة شرود ذهني لا يعي ما يدور حوله

● إن الموقف السعودي من انتفاضه الشعب البحريني، يعبر عن موقف طائفي بأمتياز، وهو ما أكدت لجنة (بسيوني)، من أنه لا يوجد دوراً ايرانياً في تأجيج الشارع البحريني. كما أن الجيل الاول من القيادة السعودية يعاني من امراض مزمنة، وحتى الملك عبد الله بن عبد العزيز فهو في حالة شرود ذهني لا يعي ما يدور حوله[5].

(5) انظر: (صحيفة المنار المقدسية) على الموقع /www.alalam.ir/news 116004

وهناك قلق كبير من احتمال صراع بين ابناء العائلة الحاكمة، خاصة في

صفوف ابناء قادة الحرس القديم، فعلى سبيل المثال أن ولي العهد الاسبق (سلطان بن عبد العزيز) متزوج من سبع نساء وله (37) ولد، يتولى بعضهم مسؤوليات مهمة في المملكة، وهذا الحال من جاء بعده (نايف بن عبد العزيز) وولي العهد الحالي.. فالسعودية مقبلة على تطورات حادة وصراعات لا تعرف نهاياتها بين ابناء العائلة الحاكمة والاحفاد، وهكذا دولة لا تستطيع الاستمرار بتقديم الحماية لغيرها إلا الى حين. كما أن البحرين تعد الحديقة الخلفية للسعوديين، لممارسة الفحشاء والمنكر وشرب الخمور المحرمة في بلادهم.

البحرين تعد الحديقة الخلفية للسعوديين، لممارسة الفحشاء والمنكر وشرب الخمور المحرمة في بلادهم

● الموقف الأميركي الذي يهمه استقرار الوضع في البحرين، قاعدة الاسطول الخامس الأميركي فعلى الرغم من النداءات المستمرة من المسؤولين في الولايات المتحدة الأميركية الى البحرين الى الحوار والتهدئة وعدم استعمال القوة المفرطة، إلا أن الموقف الأميركي بدأ يتكشف بناء على المؤشرات الآتية:

1 ـ دخول القوات السعودية درع الجزيرة الى البحرين بمباركة أميركية، كما أن قمع الاحتجاجات الشعبية السلمية، جاء بعد زيارة وزير الدفاع الأميركي روبرت غيتس الى المنامة في آذار 2011[6].

(6) زيارة وزير الدفاع الأميركي، صحيفة الوسط، العدد 12، اذار 2011

2 ـ منع المؤسسات الحقوقية الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، من ممارسة دورها في محاسبة ومعاقبة نظام الحكم في البحرين على جرائمه تجاه الشعب البحريني.

3 ـ التعتيم الاعلامي المقصود والمدعوم أميركياً على ما يجري في البحرين.

وفي الختام لابد من القول أن فرصة استنساخ انتقال السلطة مملكة البحرين، ربما وصلت الى طريق مغلق، إذ يبدو ولي العهد(سلمان بن حمد)، أنه مغلوب على أمره، بعد انضمام أخيه غير الشقيق الى المتشددين الذين يعملون على تقويض سلطته.